



استعـــادة ميدان القتال

- • •
- . . .



ظــــــــل المحارب

"كتيبة جنين" .. سيرة استعادة ميدان القتال



أحمد العارورى

"وجود موازين القوى على هذا الحال الظالم سبب جوهري أمام الإنسان للنضال من أجل تغييرها" في كل مراحل الصراع بين المجتمع الفلسطيني وقوة الاحتلال الإسرائيلي، انطلقت شرارة بدايــة أي انتفاضة أو هبة غالباً من مبادرات فردية نزلت إلى ميدان المواجهة لفتح مسارات جديدة أمام العمل النضالي، بعد أن يعتقد المجموع أن الواقع شديد الإحكام، بفعل سطوة السياســــــات الأمنية الاستعمارية.

بعيداً عن الأضواء والإعلام وضوضاء مواقع التواصل الاجتمــــاعي، ثابــــــرت مجموعة من المقاومين لا تتجاوز أعمارهم بدايات العشرين عامــاً، على فتح مسار جديد يجدد المواجهة مـــع المشروع الاستعمارى الصهيوني، ويهرب من عيونه الأمنية المسلطة في كل زاوية من البلاد.



من بنادق الشهداء... يولد الأملُ

لا يعرف على وجه التحديد التاريخ الدقيق لانطلاق "كتيبة جنين"، على الشكل الذي نعرفه حالــياً، لكن عودة ً إلى الوقائع الميدانية خلال معركة "سيف القدس" وما بعدها، تشير بوضوح إلـــــى تصاعد في منحنى عمليات إطلاق النار خلال الاقتحامات شبه اليومية التي تشنتها قوات الاحتــلال على مدينة جنين وريفها.

هذا التصاعد في العمليات المواجهة لجيش الاحتلال كان يشير إلى أن بناءً تنظيمياً يتطور يوميـــاً يقف خلفها. وبعد استشهاده في اشتباك مع جيش الاحتلال في حزيران/ يونيو 2021، خــــــرج اسم الشهيد جميل العموري إلى الضوء، وبرز معه دوره الريادي في تجديد الاشتباك.

الشهيد العموري الذي ما زال جسده الطاهر رهين ثلاجات الاحتلال الباردة، بعد اختطـــــــــافه إثر الاشتباك، كادر نشيط في الجهاد الإسلامي، بدأ مساره في تجديد الاشتباك مع جيش الاحتــــــلال خلال هدم الاحتلال منزل الأسير أحمد قنبع (الذي نفذ عملية "حفات جلعاد" رفقة الشهيد أحمد جرار في 2018) ، في كانون الثاني/ يناير 2020، كما يؤكد موقع "سرايا القدس".

يعلمنا تاريخ المقاومة الفلسطينية أن حدثاً واحداً قد يدفع عشر ات الشبــــــان للالتحاق بالبنى التنظيمية، وقد كانت شمادة جميل دافعاً معنوياً لمنح مجموعات المقاومة مزيداً من الكوادر التي تتابعت لاحقاً إلى الاشتباك والشمادة والاعتقال، منذ ضياء الدين الصباريني، وأمجد حسينية، ونور الدين جرار، وصالح عمار، ورائد أبو سيف، وأسامة صبح، ويوسف صبح، وعلاء زيود، وعبـــد الله الحصري، ويزيد السعدي، وخليل طوالبة، وصائب عبامرة، وأحمد السعدي، وعشرات الأسمـاء الأخرى حتى محمد السعدي "رجل الظـل" كما وصفته الكتيبة، في بيانها . أ

رفاق الدم والسلاح

"كتيبة جنين" التي صاغت اسمها من المسمى ذاته الذي أطلقه الأمين العام لحركة الجهــــــاد الإسلامي، زياد النخالة، على الأسرى الذين حرروا أنفسهم من سجن "جلبوع"، وضعــــــت الحالة النضالية في جنين أمام اندفاعة جديدة، عمودها الفقري "الوحدة الميدانية" بين المقاتلين مـن مختلف الفصائل.

الحياة الاجتماعية في المخيم بما لما من مميزات تجعلما مختلفة ً عن تجمعات حضرية أخـــرى، تمنح المقاتلين قضايا وروابط تقر بمم من التهجمع وتبعد عنمم احتمالات التفــــــــرق، مذه الروابط التي تتجاوز الاختلافات الفكرية إلى الاتفاق على مواجمة الاحتلال، تظمر جليــــــة ً في قصص شمداء ارتقوا خلال مذه المسيرة.



منذ سنوات انتفاضة الأقصى جمعت كوادر سرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى، فــــــي جنين ومخيمها وريفها، روابط وثيقة في العمل العسكري والميداني، بقيت إلى هذه اللحظة صمـــام أمان اجتماعياً حمى مجموعات المقاومة، من سياسات القوى المناوئة لها.

في الصور التي نشرت عبر الفضاء الإلكتروني بعد استشماد، يظهر الشهيد داود الزبيدي أحد قادة كتائب شهداء الأقصى -وهو شقيق لشهيد وأسير وابن لشهيدة وقريب الشهيد نعيم الزبيدي ، رفقة معظم قادة "كتيبة جنين"، وتؤكد مصادر من المخيم أن الشهيد الزبيدي كان مقرباً من هؤلاء الشهداء، لا سيما عبد الله الحصري، وقد تعدت العلاقة بينهم فضاء الصداقة ورفقــة السجون، إلى النضال معاً في الميدان.

الواقع الميداني الذي حرر إلى حد بعيد جغرافية مخيم جنين من الدخول الآمن لقوات الاحــــتلال، وتدخلات الأجهزة الأمنية، بعد اشتداد عود مجموعات المقاومة وعلى رأسها "كتيبة جنيـــن"، جعل الظرف متاحاً أمام قوى أخرى بينها كتائب القسام، التي شكلت مجموعة شاركــــــت في مختلف الاشتباكات، كتفًا إلى كتف بجانب بقية الفصائل، وكان لها جهــــــودها السابقة (مجموعة الشميد حمزة أبو الهيجا، والشميد أحمد جرار وغيرها).

استنساخ تجربة انتفاضة الأقصى؟

ما زالت انتفاضة الأقصى، الحدث الأكثر حضوراً في وعي المجتمع الفلسطيني، خاصة الأجيال التي تفتــح وعيما على هذه المواجــمة الأضخم في داخل فلسطين. لكن، يمكن القول في الوقت ذاته، إن ذاكرة الجيل الحالي من المقاومين متحررة من عمليات "كي الوعي" التي مارستها قـوات العدو على الشعب الفلسطينــــي خلال الانتفاضة، من خلال الاغتيالات والحصار والاعتقالات ومختلف سياسات تكبيد المجتمع أثمانًا بامظة، بعد العمليات الفدائية النوعية التي ضربت قلب دولة الاحتلال.

لكن هذا التحرر من الذاكرة "الأليمة" لممارسات الاحتلال الإجرامية خلال الانتفاضة، لـــــم يكن نزوعاً أيضاً للانفكاك عن ذاكرة المخيم والمدينة، المتخمة بالبطولة والذكـــريات التي تحكي عن مجموعات المقاومة التي خاضت واحدةمن أكبـــر المعــــارك في تاريخ المواجمة في الداخل الفلسطيني، ومي معركة مخيم جنين.

بقي لمخيم جنين خلال الانتفاضة وما بعدما، تقاليده الراسخة: أولاً في شكل المجموعـــــــــــــــــــــــــــــــــ الكبيرة مقارنة الحال في مناطق أخرى مثل رام الله والخليل، وثانيًا: في الوحدة التي تربط هذه التشكيلات العسكرية، وكان المثال الواضح على ذلك غرفة العمليات التي قادت معركة مخيــــــــــم جنين بقيادة الشهيد يوسف ريحان "أبو جندل".



لا يمكن الادعاء أن التجربة الحالية للمقاومة، في جنينٍ ومخيمها، هي استنساخ كامل لتجـــربة انتفاضة الأقصى لكن روح هذه التجربة ما زالت حاضرة في تفاصيل كبيرة وصغيـــــرة، من حيث حجم المجموعات والعلاقات بينها وشكل العمليات العسكرية التي تركـــــــــــــــــز عليها، وهي الاشتباكات مع القوات المقتحمة، وإن كانت مجموعات المقاومة في الانتفاضة امتلكــــــت قدرات أعلى -بفعل الواقع الميداني والعسكري حينها- مكنتها من تنفيذ عمليات فــــــي عمق تجمعات المجتمع الصميوني، في الساحل والشمال، وهو ما دفع جيش الاحتلال حينها لشـــــن عمليات عمليات عمليات عبين.

نين العلاقات مع العرين

بعد شمور من انطلاقة "كتيبة جنين"، انطلقت إلى المشمد النضالي الفلسطيني مجموعــــــات "عرين الأسود" التي ولدت من جمود مشابهة لتلك التي حصلت في جنين. شبان في مقتبل العمر اجتمعوا على واجب مقاومة الوجود الاستعماري الصميوني، ثم، بعد استشماد عدد منهــــم، اشتد عود المجموعات بانضمام مزيد من الكوادر إليما من مختلف التوجمات الفكرية.

هذه المخاطر الوجودية التي هددت مجموعة "عرين الأسود"، دفعت قادة "كتيبة جنين" إلــــى ضخ ما توفر لهم من إمكانيات لمنع انهيار رفاقهم في الدم والسلاح. تروي مصــادر مطلعة أن الشهيد فاروق سلامة، القيادي في الكتيبة، الذي اغتالته قوات الاحتلال الخاصة قبل أيـــــام من حفل زفافه، فتح خطوطً ا مباشرة مع قادة العرين لإمدادهم بالدعم اللوجستى والبشرى.

بعد استشماد أي كادر من الكتيبة أو العرين، تنتشر على وسائل التواصل الاجتماعــــــي صـــور للشمداء من الطرفين في نابلس أو جنين، ومو مؤشر على مبادرة مجموعات المقاومة لخـــلق تنسيق بما يتوفر من إمكانيات.

هذا الانفتاح والانتعاش الذي حققه صعود المقاومة امتدت آثاره في نابلس ومناطق أخرى، إلى مستويات أوسع من العلاقات مع العرين، من خلال ظهور مجموعات مقاومة أخــــــرى مثل "كتيبة نابلس" و"كتيبة بلاطة".



ريف جنين... كتلة اللهب تتسع

أبرز هذه المجموعات كانت في بلدتي جبع وقباطية، إلى الجنوب من مدينة جنين. ففي جبع تبنـت المجموعات استهداف قوات الاحتلال في البلدة والقرى المحيطة بها لأكثر من مـــــرة فــــي الأسابيع الماضية، وكانت أبرز عملياتها إطلاق النار الذي نفذته ردًا على إعدام جندي مـــــن جيش الاحتلال للشهيد عمار مفلح، في بلدة حوارة جنوب نابلس قبل أيام ْ. وفي قباطيــــــة شاركت المجموعات في التصدي لأكثر من اقتحام للبلدة.

ماذا تقول لنا التجربة؟

في الفلسفة العملية لحركة الجهاد الإسلامي، فإن إدامة العمل والمشاغلة لقوات الاحتلال هي الهدف الأساسي من حركتها الدائمة، في مسار_ سعي_ الفلسطيني لكسر معادلات القوة التـــي تتيح للاحتلال فرض شروطه على الواقع الفلسطيني، وتأتي "كتيبة جنين" تمظهراً بارزاً في هــذه المساعي التي تكمــّـل جموداً جماعية أفلسطينية في جنين وغيرها، لمنــــــــع الاحتلال من الاستفراد بالضفة والقدس وبقية الأرض الفلسطينية.

في تاريخها القصير والحافل لم تكتف "كتيبة جنين"، بحالة الاشتبائ والمــــــدافعة في الحيز الجغرافي الذي تنتشر فيه، بل كان لها مبادرات نوعية كعملية الشهيد رعد خازم فــــــي قلب "تل أبيب"، والتي تبين لاحقًا أن شقيقه عبد الرحمن خازم أحد قادة الكتيبة كان لـــــه دور في توفير السلاح والدعم اللوجستي للشهيد فيها، بالإضافة إلى عمليات إطلاق النار التي استهدفت المستوطنات في محيط جنين. ومؤخرًا أعلنت عن تشكيل مجموعات "الشهيد بهاء أبو عــطا" وكانت بداية نشاطها في استهداف مستوطنة "حرميش"، قرب طولكرم.



ويظل ّ سؤال المقاومة دائماً هو محاولة التغلب َ على الظرف الموضوعي القاسي، وجســــــر الهوة بينها وبين قوة الاحتلال المتفوقة، عبر َ إدامة المواجهة، والانتقال من المدافعة التي يهدف الاحتلال من خلالها لاستنزاف الحالة، إلى المبادأة والعمل النوعي ّ الذي يؤلم الاحتـــلال، ويكرس الوعي المقاوم لدى جماهير الجيل الجديد؛ ثم من خلال الانتباه إلى تداعيات الانكشــاف الذي-وإن كان سبباً في صناعة الرموز المقاومة- إلا أن ّ المبالغة فيه وعدم الانتبــــــــاه إلى مفاعيله السلبية قد يكون سبباً في تسميل مهمــة الاحتلال.

الوعى .. إنجاز الخطوة التالية

لعلّ أعظم ما في تجربة الكتيبة وما يشبهها من تجارب في ساحة الضفة حالياً، هو الأبعـــــاد المعنوية التي حققتها في الوعي الجماعي الفلسطيني، بعد أن أعادت ترتيب يوميات المجتمــــع الفلسطيني، الذي بات يصحو على أخبار الاشتباكات والمواجهات وارتقاء الشهداء، بشكل أكبـــر من السابق، وهو ما يخشى معه الاحتلال أن تتوسع إرادة المواجهة بصورة أعمق في الأجيــــال الشابة.

هذا الحضور الرمزي والمعنوي المتزايد للمقاومة في وعي المجتمع الفلسطيني، يظهر، من بيــن ما يظهر فيه، من خلال الأناشيد التي تتغنى ببطولات شهداء هذه المرحلة، وصور أيقـــــونات المقاومة الجديدة في كل مكان، على قمصان الفتية وفــــــي الشوارع وعلى مواقع التواصل الاجتماعي. ومع هذا الحضور الكثيف والعميق، فإن نافذة أ مهمة أتنفتح لكل قوة لديهـــــا الإرادة لاستثمار انحياز المجتمع المستمر للمقاومة.

